المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٢٩ شعبان ١٣٣٤ — ٨ السرطان (ص ١) ١٢٩٤ م ش ٣٠ يونيو ١٩١٦

فاتحة السنة التاسعة عشرة للمنار

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك اللهم وبحمدك أنت المحمود على كل حال ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، قوي المحال عظيم النوال، تعطي من تشاء ولو بغير سؤال ، وتحوّل ما شئت من حال الى حال ، قوة بعد ضعف ، وغنى بعد فقر ، وعز بعد ذل ، وكل ضد يعقبه ضد ، فما رفع الله شيئا الا وضعه ، ولا وضع شيئا الا رفعه، وكل شيء عنده بمقدار (١٣ : ١٢ إنّ الله لا يُغيّرُ ما بقومٍ حتى يُغيّرُوا ما بأنفسهم وإذا أرادَ الله بقومٍ سوءًا فلا مَرَدَّ له وما لهم من دُونهِ من والٍ)

نحمدك اللهم بالغدوّ والآصال ، ونصلي ونسلم على محمد خاتم رسلك وآله

وصحبه خير صحب وآل، وعلى من تقدمه وتقدمهم من النبيين والمرسلين، ومن تأخر عنهم من الصديقين والشهداء والصالحين، واهدنا اللهم صراطهم المستقيم في الدنيا من الاخلاق والاعمال، (١٤ : ٢٣ مِن قبل أن يأتيَ يوم لا بيع فيه ولا خلال)

أما بعد فان المنار يذكر قراءه على رأس عامه التاسع عشر، بأن يعتبروا بما نزل بأقوى أمم البشر، من آثار عزته تعالى وقوته، ومظاهر عدله وحكمته، الدالة على انه هو الذي يغير ولا يتغير، ويبدل ماشاء بماشاء ولا يتبدل، وأن الامن من مكره غرور ووبال، والقنوط من رحمته كفر وضلال، وأن القوة لا تغلب الحق، ولكنها قد تكون بالحق وللحق ومن الحق، وان الحق ليس بمجرد دعوى اللسان، ولا مجرد ما يجري عليه الناس من عرف واصطلاح، فحق الملك وسياسة العباد، لا يجب أن يورث عن الآباء والاجداد، وانما أحق الناس بأمر الناس، من كان أنفعهم للناس، واقامة سنن الله تعالى في الاجتماع (١٣ : ١٨ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدًا رابيًا، ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله، كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض، كذلك يضرب الله الامثال)

ثم يذكرهم على عادته بما طرأ على سير الاصلاح، بعد أن خفتت أصوات المعارضة في جميع الاقطار، وهو شيء حدث في هذه الديار، ذلك بأن فيها كغيرها أناسا اغتروا بمظاهر القوة المادية، فاحتقروا قوى العقائد والفضائل الروحية، وفتنوا بتقليد الاقوياء بما هو من آفات القوة

ومفاسدها، لا من أسبابها ولا من محامدها، كالسرف في الزينة والترف، والانغماس في الشهوات واللذات، وأعجب أمرهم أن منهم من يدعون الدعوة الى الاصلاح، والصعود بالضعفاء الى مستوى الاقوياء، أولئك هم الملاحدة المتفرنجون، الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون، وانما حجتهم على عامة المسلمين، سوء حال كثير من المعممين، وتذللهم للامراء والحاكمين، وذمهم بعصبية الدين، وان لهؤلاء الملاحدة لقوةً من غيرهم لا من أنفسهم ولكنهم يعتزون بها، وإن منهم من يكيد للمؤمنين مكايد لا يفطنون لها، وان للمؤمنين لقوة ذاتية ولكنهم غافلون عنها، وانما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه، فاذا قذف عليه دمغه، وان بقاء الباطل لا إلى زوال (٤٠ : ٢٥ وما كيد الكافرين الا في ضلال)

قد كان ملاحدة قطرنا هذا أجبن ملاحدة المسلمين وأخوفهم من اظهار الكفر، على كونهم أجرأهم على الجهر بالفسق، ثم تجرأ أفراد منهم منذ سنين على التصريح به أو ببعض لوازمه في الجرائد، بعد طول العهد على تصريح الكثيرين بذلك في المجالس، ومنهم من الف كتبا أو رسائل في ذلك، ثم بلغنا في العام الماضي أنهم ألفوا جمعية لاجل التعاون على تشكيك الناس في الإسلام وجذبهم الى الإلحاد، والطعن في عقائد الدين وآدابه وأحكامه ولا سيما الآداب والاحكام الخاصة بالنساء. وأنشأوا لهم صحيفة لدسّ الدسائس، وبث الوساوس، وتوجيه العناية فيها الى نابتة المدارس، وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للقديم والصد عنه، والتنويه بالجديد والترغيب فيه، وان لهم لأنصارا في القصور والدواوين، وفي المدارس واكبر معاهد الدين، وقد استفادوا من تقييد

حرية المطبوعات بسبب الحرب ، ما كفوا به أقلام من تصدّى لاحباط بعض دسائسهم من أهل الحق ، وانهم ليختلبون ألباب المختبلين من الشبان والشابات ، بما ينمقون من زخرف الشبهات ، (٢ : ٢٠٣ ومن الناس من يُعجبُك قوله في الحياة الدنيا ويُشهدُ اللهَ على ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام ٢٠٤ واذا تولى سعى في الارض ليُفسد فيها ويهلك الحرث والنسلَ واللهُ لا يحب الفساد)

فبهذا قد وجب على أهل الاصلاح أخذ الاهبة لجهاد جديد ، هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد ، فان أصحاب الخرافات عُزّلٌ وهؤلاء الملاحدة مسلحون ، وأولئك ضعفاء متفرقون ، وهؤلاء أقوياء مجتمعون ، وأولئك غافلون متواكلون ، وهؤلاء أيقاظ حذِرون ، فاذا جاهد أهل الاصلاح أباطيلهم بمثل ما يجاهدون به الحق ، من الاجتماع والتعاون والحزم ، كانوا حزبَ الله الغالبين (ولينصُرَنَّ اللهُ مَن ينصُرُهُ إن اللهَ لقويٌّ عزيز ٤٠ : ٥١ إنّا لننصُر رسلَنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويومَ يقومُ الاشهادُ ٥٢ يومَ لا ينفعُ الظالمين معذرتُهم ولهمُ اللعنةُ ولهم سوءُ الدار)

إن هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الازهر وما يتبعه من المعاهد الدينية ما داموا يدعون الاسلام بألسنتهم ، بل لا يعدمون هنالك أولياء وأنصاراً لهم ، لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الاعمال ، من رابطة التناسب والاتصال ، ويقال ان لجمعية الالحاد الجديدة ركناً في الازهر ركيناً ، وإنهم بذلك أوشكوا ان يحدثوا فيه حدثاً مبيناً ، ولكنهم لم يصيبوا به الا خذلاناً وفشلاً مهيناً ، ولان كلا منهما يؤثر المنافع الخاصة ، ويتوسل اليها بما في يده من المصالح العامة ، ولان اكثر الازهريين ، لا يُعنَون بالنظر في مكتوبات المتفرنجين ، وما كل من ينظر فيها يفهم المراد منها ، وما

كل من يفهم أن فيها طعناً على الدين يهتم بالدفاع عنه ، وما كل من يهتم منهم بذلك يقدر عليه ، وما كل من يقدر عليه يقوم به . — لأجل ذلك كله لايحسب هؤلاء الملاحدة للازهريين حسابا ، وقد يكذّب الازهر ظنهم فيه كذباً ، وانما يخافون من رجال الاصلاح سواء كانوا من الازهر أو من غير الازهر لأنهم أقدر الناس على اظهار عوارهم ، وتقليم أظفارهم ، ولأن كل مايزعمونه ويتقربون به الى الامة من السعي الى ترقيتها وتمدينها ، قد سبقهم اليه طلاب الاصلاح الاسلامي مع المحافظة على مقوّمات الامة ومشخصاتها ، وإنما أركانها الدين واللغة والعادات والازياء ، وهم يحاولون هدم ذلك كله بلا استثناء.

واضرب لهم مثلا ماقاله أحد الظرفاء مفاكهاً للاستاذ الامام — وهو في مرض موته — قال: ان طريقتك في تفسير القرآن قد أضرت الامة أعظم الضرر! قال الاستاذ لماذا ؟ قال لانها أبانت للناس أن الدين موافق للعقل والعلم وركن من أركان المدنية ، فتعذر علينا ما كنا نحاول من هدمه بدعوى انه عقبة في سبيل ترقينا في دنيانا. فمن هذه الجملة التي عبر قائلها عن خدمة الاستاذ الامام العليا للدين وللمسلمين، ينجلي لنا رأي هؤلاء الملاحدة في الاصلاح والمصلحين (١٤ :٢٧ يثبّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) .

من أجل هذا كانت مدرسة الدعوة والارشاد قذى في أعينهم ، وشجى في حلوقهم ، وطخا على قلوبهم ، وما زالوا يكيدون لها ، حتى حالوا دون أعظم اعانة كانت تنتظرها ، وقد كان أشدهم سعيا وسعاية ، أشدهم استهزاء بالدين وزراية ، ذلك الذي كلما عنّ مطعن يلوي عنقه ويهز أكتافه ،

ويُنغض رأسه ويثني أعطافه، ويتبسم ساخرا، او يُغرب ضاحكا — ذلك الذي يعلم رئيسه الآن، أنه يأكل لحم الخنزير جهرا في نهار رمضان، ولو زدنا في وصفه لعرفه كثير من الناس، وانما الغرض بيان الصفات والاعمال وعلى هذه الشاكلة كل اولئك الضلال، الذين لم يرضوا بسكوت المسلمين لهم على الضلال، حتى تصدوا للعدوان والصيال، (١٤:٥٨ وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم، وان كان مكرهم لتزول منه الجبال)

فهم على ماهم، (٤٧:٣٠ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم، ولتعرفنهم في لحن القول) وفيما يوجهون اليه القوة والحول، فمنهم من يحاول هدم الاسلام، بالدعوة الى استبدال لغة العوام بلغة القرآن، ومنهم من يتفي التشكيك فيه بنشر آراء الماديين، من القدماء والاوربيين، ومنهم من يصد عن محجته، بتفضيل ماعرفوا من القوانين على ماجهلوا من شريعته، ومنهم من ينفر عما حرمه من آدابه الروحية والاجتماعية، تلذذا بما حرمه من الشهوات الضارة والعادات البهيمية، ومنهم من هم أقصر من هؤلاء نظرا، وأظلم بصيرة وأفسد ذوقا، وهم الذين يحتقرون مشخصات أمتهم (كالجبة والعمامة) ويهزؤن بها، ويرغبون في الاستعاضة بالازياء الغريبة عنها، ويتوهمون أنهم قد عرجوا بذلك الى مستوى من فلسفة الذوق والجمال، لا يعرفه الا من حلق في جو الخيال الى أوج الكمال، كمخترعات الازياء الجديدة (المودة) من ربات الفنج والدلال، ولو عقلوا ماتجره هذه الفلسفة النسائية أو الصبيانية من الخزي والنكال، أو قرؤا وفهموا ماقاله الدكتور سنوك الهولندي في خطبته في مستقبل الاسلام، لودوا لو كانوا من ربات الحجال، راجعين عن مذهب السفور ومخالطة نسائهم للرجال، وانما يلوذ هؤلاء وأولئك بخلابة

المقال (٢ : ٢١٢ زُيِّنَ للذين كفروا الحياةُ الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا، والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة، والله يرزق من يشاء بغير حساب)

وجملة القول اننا بعد ان فرحنا بنصر الله تعالى لحزب الاصلاح على المبتدعة والدجالين، قد ابتلينا بتكوين حزب للملاحدة المارقين، يواليه أفراد من أغرار الشبان وكهول المنافقين، فاذا ترك هؤلاء وشأنهم، وسكت لهم أهل الحق على ما ينفثون من سموم أباطيلهم، تعظم جرأتهم، وتنتشر دعوتهم، وتكبر فتنتهم، وليس الاستظهار عليهم بالامر اليسير، فان حجتهم داحضة، وغواياتهم متناقضة، وغاياتهم متعارضة، ويخافون الردة الصريحة، ان تحرمهم احترام الامة وبعض مناصب الحكومة، فالجريء منهم على التصريح بالكفر على رءوس الاشهاد قليل، وانما يصرحون غالبا بما يظنون أنه يحتمل التأويل، كزعمهم أن النبي عليه الصلاة والسلام، أقرّ العرب على بعض عباداتهم الوثنية لاجل استمالتهم كما فعل بعض البابوات، وهذا من أقبح البهتان، فان ما أقره الاسلام من مناسك الحج كان من شريعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام، فهو الذي بنى بمساعدة ولده اسماعيل البيت العتيق، وطهره للطائفين والعاكفين والركع السجود، وأذن في الناس بالحج فلبوه من كل فج عميق ومن دعائه عليه الصلاة والسلام، (١٤ : ٣٥ رَبِّ اجعل هذا البلدَ آمِنًا واجنبني وبَنِيَّ أن نَعبُدَ الاصنام)

هذا وإن سواد المصريين الاعظم يغار على دينه، ويذب عنه بشماله ويمينه، حتى ان اكثر المتعلمين في المدارس المتفرنجة والافرنجية، ليتعصبون له عصبية سياسية اجتماعية، لا يشعر بمثلها المتعلمون في المعاهد الدينية، فهم يمقتون من يجعل نفسه داعية للكفر، ويلفظونه كما تلفظ النخامة

من الفم، ويعلمون أن مايتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عند الاوربيين، والتشبه بمن ناهضوا الكنيسة ورجال الدين، ليس بالغرض الصحيح الذي يعذرون فيه، ولا العمل المفيد للدنيا فيساعدهم من لا يؤمن بالآخرة عليه، فهم لا يجدون في الاسلام ولا في رؤسائه تلك الاسباب التي حملت بعض كتاب أوربة وجمعياتها السياسية، على مجاهدة الكنيسة ورجالها والطعن في نفس النصرانية، فالاسلام نفسه أرشد البشر الى العلوم العقلية والكونية، وأوجب الفنون والصناعات المدنية، وأخرج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا الى فضاء الحرية، وأما رجال الدين الرسميين في مصر فلا مجال لاتهامهم بعصبية دينية، ولا بمقاومة الحرية العلمية ولا العملية، أنى وشيخ الازهر ومفتي الديار المصرية، وشيخ مشايخ طرق الصوفية، قد اشتركوا في جمع الاعانة لجمعية الصليب الاحمر، حتى فرضها الاول على جميع أصحاب الرواتب في الجامع الازهر، وحضروا ما كانوا يتحامون من المحافل، في معاهد التمثيل والفنادق، وقد حضر المفتي حفلة الصلاة على روح لورد كتشنر في هذه الايام، كما حضر الصلاة على روح بطرس باشا منذ أعوام، فلم يبق لهؤلاء الملاحدة ما ينقمونه من هؤلاء العلماء، الا عدم مشايعتهم إياهم على السفور ومخالطة النساء، ولعلهم لا يرضونه منهم الا أن يغيروا هذه الازياء (٣:٧ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ٨ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)

منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا